حسن البنا .. رحمه الله

مرت بنا في الشهر الماضي شباط/فبراير الذكرى السابعة والعشرون لاستشهاد هذا الرائد العظيم من رواد العمل الإسلاميّ في الفكر والدعوة والتنظيم والجهاد .. وقد اخترنا للطلائع الإسلاميّة نماذج متفرقة من بعض ما كتبه رحمه الله تعالى ، تذكيراً لهذه الطلائع بهذا الرجل العظيم الذي لا ينسى ، وبهذا النبع الإسلاميّ الغني المعطاء بالعلم والخبرة والدعوة والقدوة

الفهم ..

بعض (الأصول) التي ذكرها –رحمه الله– في (رسالة التعاليم) بهذا العنوان :

القرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم في تعرف أحكام الإسلام . ويفهم القرآن طبقاً لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف . ويرجع في فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقاة

وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم صلى الله عليه وسلّم

وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقاً للكتاب والسنة قبلناه وإلاّ فكتاب الله وسـنة رسـوله أولى بالاتباع . ولكن لا نعرض للأشخاص فيما اخْتُلِفَ فيه بطعن أو بتجريح ونكلهم إلى نياتهم وقد أفضوا إلى ما قدموا

ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إماماً من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلة إمامه ، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صحّ عنده صدق من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر .

وكل بدعة في دين الله لا أصل لها استحسنها الناس بأهوائهم –سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه– ضلالة تجـب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التي لا تؤدي إلى ما هو شر منها .

والإسلام يحرر العقل ويحث على النظر في الكون ويرفع قدر العلم والعلماء ويرحب بالصالح النـافع مـن كـل شيء .. والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها .

وقد يتناول كلٌّ من النظر الشرعي والنظر العقلي ما لا يدخل في دائرة الآخر ولكنهما لن يختلفا في القطعي . فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة . ويؤول الظني منهما ليتفق مع القطعي ، فإن كانا ظنيين فـالنظر الشرعي أولى بالاتباع حتى يثبت العقلي أو ينهار

لا نكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأي أو معصية إلاّ إن أقر بكلمة الكفر ، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو كذّب صريح القرآن أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحـــال ، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر .

صناعة الموت

إنّ الأمة التي تحسن صناعة الموت وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة يهب لها الله الحياة العزيزة في الدنيا والنعـــيم الخالد في الآخرة ، وما الوهم الذي أذلنا إلاّ حبّ الدنيا وكراهية الموت ، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحصروا على الموت توهب لكم الحياة

واعلموا أن الموت لا بد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة ، فإن جعلتموها في سبيل الله كان ذلك ربـــح الـــدنيا وثواب الآخرة ، وما يصيبكم إلاّ ما كتب الله لكم وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى :

﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْـــرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لا يُبْدُونَ لَـــكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَـــيْهِمُ الْقَتْـــلُ إِلَـــى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِـــي قُلُـــوبِكُمْ وَاللَّـــهُ عَلِـــيمٌ بِـــذَاتِ الـــصُّدُورِ ﴾ [آل عمران : ١٥٤]

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة . رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله

مطالب

إننا معشر العرب والمسلمين في أنحاء الأرض ، نطلب حقاً مقرراً لنا ، مقدساً عندنا ، عزيزاً علينا ، فنحن نطلب الحرية ، وهي للإنسان كالغذاء والهواء والماء ، لا يمكن أن نعيش بغيرها ولا أن نحيـــا بـــدونها ، ونطلـــب الوحـــدة والارتباط والتجمع ، وأن تزول من بيننا الحواجز الصناعية ، والحوائل السياسية التي مزقت بها وحدتنا يـــد المطـــامع والأهواء ، في حوادث التاريخ المتعاقبة ، ووحدتنا من صنع الله لنا ، قررها القرآن ، وأكدها الإيمان ، ومهـــدت لهـــا طبيعة أرضنا ، وثبتتها شركة تاريخية في المصالح والآلام والآمال ، هي أبقى على الزمن الباقي من الزمن .

ونطلب بعد هذين الحقين أن يفسح لنا المجال بين الأمم العاملة لنقول كلمتنا وإنها لحق ، ولنبلغ رسالتنا وإنها لخير ، ولنساهم في بناء العالم وإن ذلك لعدل وإنصاف .

أصنام

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ ﴾ [إبراهيم : ٣٥]

إنما جاء هذا الإسلام ليحطم الأصنام ، وليعلن عليها حرباً شعواء لا تبقي منها ولا تذر . وها هو رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقف أمام الكعبة المشرفة بعد الفتح ، وعليها وبجوارها ستون وثلاثمائة صـــنم تعبـــد مـــن دون الله ، فينكسها على رؤوسها ، ويكبها على وجوهها ، ويحطمها ، ويشير إليها بيده وهو يتلو قول الله تبارك وتعالى :

﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء : ٨١]

ويرسل رسله وسراياه ومبعوثيه إلى القبائل المجاورة لتستأصل البقية من الأصنام ، فهـــذا يهـــدم الـــلات ، وذاك يستأصل العزى ، انتصاراً لكلمة الله وإقراراً لدينه في الأرض حتى نزلت الآية الكريمة :

﴿ ... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ... ﴾ [المائدة : ٣]

ولقد ظن الناس أن الأصنام ليست إلاّ هذه الأجسام الحجرية أو التماثيل البلهاء التي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تغني عن العاكفين عليها شيئا . ولكن الإسلام كان أعرف منهم بدقائق الشرك وألوانه وصـــنوفه ، فاســـتوعب طبقـــات الأصنام وأعلن الحرب عليها جميعاً ، وقام على تحطيمها جميعاً :

﴿ ... حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ... ﴾ [الأنفال : ٣٩]

فالهوى والرأي الأخرق الباطل ، الذي يستبد بنفس صاحبه فيحجب عنه نور الحق ويضله عن سواء السبيل ، إله يعبد من دون الله ، أعلن الإسلام عليه الحرب ، وتوعد أولئك الضالين عن هوى وأثرة بالنار والدمار .

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَـــنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣]

والأغنياء المترفون الذين يستعبدون الناس ويستر قوتهم ، ويضربون على حرياتهم وجهودهم نطاقـــاً مـــن الذلـــة والتحكم والجبروت ، أصنام ذهبية جاء الإسلام يحرر الفقراء من سلطانها ، ويحطم من طغيانها ويتوعد أهلها بأشـــد

العذاب في الدنيا والآخرة ، وهل سمعت في ذلك أقسى من قول القرآن الكريم :

﴿ ... وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤-٣٥]

ويصور الحق تبارك وتعالى موقف هؤلاء يوم القيامة فيقول :

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ۞ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۞ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ۞ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ۞ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ۞ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۞ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۞ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ۞ إِنَّهُ كَانَ لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ۞ وَلا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ ۞ وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ۞ لا يَأْكُلُهُ إِلاَّ الْخَاطِئُونَ ﴾ [الحاقة : ٢٥-٣٧]

ولقد جعل الله صنم المال الأكبر قارون عبرة لمن اعتبر وتبصرة لمن تذكر :

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴾ [القصص : ٨١]

وهؤلاء الوجهاء المتكبرون المتعاظمون ، الذين انتفخت أوداجهم بالغرور ، وانطلقت أفواههم بالزور ، يفخرون بالآباء والأجداد ، ويختلقون المآثر والأمجاد ، وليس لهم منها حظ ولا نصيب ، وإنما كل حظ أحدهم مظهر كاذب وأثاث ورياش ، وطعام ولباس ، ورتبة ولقب ، وأسرة ونسب ..

هؤلاء (أصنام) جاء الإسلام ليذهب بريحها ، وليقضي على آثارها ، وليحرر الناس من رقها ، فالناس سواء وإنما يتفاضلون بالتقوى ، وبما يقدم أحدهم للمجتمع من خير أو بر

وهؤلاء الحكام المستبدون ، الذين يسيئون استخدام سلطتهم ، ويتخذونها ذريعة إلى إذلال الناس والتعالي عليهم وهضم حقوقهم ، أصنام جاء الإسلام لتحطيمها والحد من سلطانها ، وإخضاعها لقانون العدل والمساواة والنَّصَفة .

فالحاكم والمحكوم سواء في شريعة الإسلام ، ولكل منهما حقوقه وعليه واجباته . فعلى الحاكم : العدل والإنصاف ، وحسن الرعاية . وله الطاعة ، والنصيحة وحسن المعاونة ، وحقوق الحاكم واجبات المحكوم ، وحقوق المحكوم واجبات الحاكم ، ولا فضل لأحدهما على الآخر إلاّ بالتقوى .

ولقد شنها الإسلام غارة شعواء على هؤلاء الحكام الظالمين من قبل ومن بعد :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۞ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۞ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ ۞ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۞ وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ ۞ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ ۞ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۞ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۞ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ٦-١٤]

ويقول النبي صلى الله عليه وسلّم : « إنّ أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في ملكه فأدخل عليه الجور في عدله » .

ولقد لقي عمرُ أبا ذر رضي الله عنهما ، فقال له أبو ذر : أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول : « من وليَ شيئاً من أمر المسلمين أتي به يوم القيامة حتى يوقف على جسر جنهم ، فإن كان محسناً نجا ، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر ، فهوى فيه سبعين خريفا . وهي سوداء مظلمة » – فقال له عمر : (قد أوجع ذلك قلبي فمن يأخذها بما فيها ؟) فقال أبو ذر : (من سَلَتَ الله أنفه ، وألصق خده بالأرض ، أما إنا لا نعلم إلا خيراً وعسى إن وليتها من لا يعدل فيها ، ألا تنجو من إثمها) . فأي تحطيم لأصنام الحكم أعنف من هذا التحطيم الذي لاحقهم به الإسلام في الدنيا والآخرة ؟! .

يا أيها الناس :

إنّ مهمة الإسلام الأولى والأخيرة : (التحرير) حتى تستقيم الوجوه والغايات لله وحده ولا تعبد شيئاً سواه .

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩]

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۞ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٦٢-١٦٣]

فحطموا أصنام الهوى ، وأصنام المال ، وأصنام الجاه ، وأصنام الحكم .. واتجهوا إلى الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين . فإن عجزتم عن أن تحطموها فلا أقل من أن لا تعبدوها ولا ترهبوها .